الخطاب الديني في الجزائر عبر تكنولوجيا الاتصال وإشكالية المرجعية الدينية (مقاربة نظرية)

Religious discourse in Algeria between reality and staffing of technology, (Theoretical Approach)

الدكتورة هند عزوز *

جامعة محمد الصديق بن يحيى جيجل balssam17@yahoo.fr

تاريخ الاستلام 2021/10/28 تاريخ القبول 2021/12/23

الملخص:

يمثل الخطاب الديني بالنسبة للمتلقي الجزائري عنصرا حيويا ضمن وجوده الاجتماعي والحضاري، ولما كان هذا العصر عصر تكنولوجيا الاتصال فإن مفردات وبنية الخطاب الديني تتأثر بطبيعة العصر ولغته السائدة أيما تأثير، لذلك أتت هذه الورقة البحثية لترصد تموقع الخطاب الديني بين مواقع تكنولوجيا الاتصال ومدى تأثيرها فيه، وإمكانية استفادة هذا الخطاب من التكنولوجيا في الوقت نفسه، مع الإشارة إلى احتكام هذا الخطاب إلى مرجعية دينية موحدة ومبرزين أهم الفعاليات التي من شأنها أن تؤثر سلبا في الخطاب الديني بالجزائر اليوم، وكيف للقائمين عليه أن يستفيدوا من وسائط الاتصال المتعددة. وللإجابة عن تلك التساؤلات استخدمنا المنهج الوصفي القائم على التحليل والربط والاستنتاج. وقد توصلنا إلى جملة نتائج تتمحور حول تحديات الخطاب الديني في مواجهة ما تحمله التكنولوجيا من تشويه للرسالة الدينية السمحة والأدلجة والتزييف والخرافة والطمس.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الديني- الدعوة، وتكنولوجيا الاتصال.

Absract:

Religious discourse is a vital element for the Algerian recipient and his social and civilizational existence. Since this is an age of communication technology, the vocabulary and structure of religious discourse are most influenced by the nature and dominant language of the age.To answer those questions, we used a descriptive approach based on analysis, linkage and conclusion. We have reached a series of conclusions centred on the challenges of religious discourse, because technology on the other hand, leads to the distortion of the religious message, ideologization, falsification, superstition and obliteration.

Keywords: *Religious discourse; Addawa; Communications tecnhologies.*

* المؤلف المرسل

مقدّمة:

يعيش العالم اليوم مرحلة جديدة من التطور التكنولوجي تلاقت عندها خلاصة ثورات ثلاث هي:

1 ـ حدوث انفجار معرفي ضخم أنتج ما يسمى بثورة المعلومات والتي يمكن التحكم فيها بواسطة تكنولوجيا المعلومات.

2 ـ ثورة وسائل الاتصال الحديثة من قنوات فضائية وتقنيات البث المباشر وشبكة المعلومات العالمية... وهو ما يصطلح على تسميته بتكنولوجيا الاتصال الحديثة.

3 ـ ثورة الحاسبات الإلكترونية التي توغلت في الاستخدامات العامة، واندمجت مع وسائل الاتصال الأخرى فأضحى للصحف نسخا إلكترونية، وللقنوات الفضائية مواقع على شبكة الإنترنت التي قصّرت المسافات وأتاحت الاتصال بين أفراد يتموقعون في مناطق جغرافية متباينة، وكان من مظاهر هذه الثورة التداول المكثف للمعلومات؛ ومنها المعلومة الدينية التي أضحت متوفرة عبر الصحف والقنوات الفضائية وشبكة الإنترنت، وهو الأمر الذي من شأنه أن يخدم الدعوة الإسلامية ويساهم في نشر الوعي الديني، ويساهم في تسهيل وصول المعلومة إلى المستقبِل النهم غير أنه يحمل من جهة أخرى مخاطر ومزالق من شأنها أن تساهم في تزييف الوعي الديني كما أنها تشكل تحديا أمام الخطاب الديني الذي يجدر بالقائمين عليه أن يكونوا في مستوى هذا التحدي عن طريق الاستفادة مما تحمله تكنولوجيا الاتصال الحديثة من خدمات وتوعية الناس ببعض مضامينها تفاديا للانزلاق وراء ما تحمله من "آثار سلبية" لا سيما وأنها مضامين لا تحتكم إلى مرجعية دينية موحدة، وهو موضوع هذه الدراسة.

إن الانفتاح على الآخر دولا وشعوبا يعني زخم فكري وإيديولوجي وعقائدي، وهو أمر وإن كان يحمل في طياته الكثير من الإيجابيات إلا أنه في الوقت ذاته يعني العولمة الثقافية (في شقها السلبي)، وتزييف الوعي وتهديد الثقافات الذاتية للشعوب وكذا تزييف الوعي الديني (الإسلامي) وجعله على المحك لاسيما مع كثرة الفتاوى الواردة وتشعب المذاهب الدينية والفكرية؛ مما يطرح إشكالية رئيسية تتعلق بضرورة دراسة واقع الخطاب الديني حيث يكون في مستوى التحديات التي تفرضها تكنولوجيا الاتصال الحديثة، ولعل من أهم المقومات التي ينبغي الاستناد عليها؛ احتكامه إلى مرجعية دينية موحدة إضافة إلى مؤشرات ومعايير أخرى نتعرف عليها من خلال الإجابة عن **التساؤل الرئيس** لهذه الورقة البحثية والمتمثل في : ***ماهي التحديات التي تحملها التكنولوجيا الحديثة أمام الخطاب الديني بالجزائر؟*** وهو التساؤل الذي يندرج ضمنه جملة من التساؤلات الفرعية تتمثل في الآتي:

1- **ماهي أهمية المرجعية الدينية الموحدة اليوم بالجزائر؟**

2- **ماهي آليات مواجهة الفوضى في مجال الإعلام الديني (الإسلامي) عبر الشبكة العنكبوتية؟**

3- ماهي أولويات القائمين على الخطاب الديني بالجزائر بهدف تدعيم وعي ديني (إسلامي) صحيح.

ثانيا منهج الدراسة:

تعد هذه الدراسة من البحوث الوصفية المعتمدة على المنهج الوصفي، ذلك أنها تنطلق من تصوير وفحص موضوع الخطاب الديني (الإسلامي) المستند إلى مرجعية دينية في خضم ثورة تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتداعياتها على الفرد والمجتمع، وذلك بهدف الحصول على معلومات كافية حول الظاهرة محل الدراسة. ويُعرّف المنهج الوصفي بأنه طريقة لدراسة الظواهر أو المشكلات العلمية من خلال القيام بالوصف بطريقة علمية، ومن ثم الوصول إلى تفسيرات منطقية. وتعدّ البحوث الوصفية بحوثا شائعة في شتى العلوم على العموم، نظرا لأهميتها في الوصول بالبحث إلى حقائق دقيقة عن الظروف القائمة، واستنباط العلاقات الكائنة بين مفردات الظاهرة، وكذا تفسير معاني البيانات ومد الباحثين بمعلومات قيمة من شأنها أن تعين على فهم الحاضر وتحسين ظروف المستقبل[1].

ثالثا تحديد مفاهيم الدراسة:

يجدر بنا في مقدمة هذه الدراسة تحديد المفاهيم الواردة والرئيسية بهذه الورقة البحثية.

3-1 مفهوم الخطاب الديني:

يطلق لفظ الخطاب على الكلام قال تعالى:« فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ »(ص آ23). ويطلق أيضا على الرسالة[2]، ويتسع لفظ الخطاب ليشمل كل كلام يتحدث عن أي مضمون يؤثر في مفهوم الثقافة وحيثياتها، وكل كلام تأوله الناس وبحيث يكون مندرجا ضمن واحد من المجالات الدينية أو الفلسفية أو الاقتصادية أو السياسية أو القانونية أو الأدبية أو الأخلاقية[3].

فإذا أخذنا واحدا من هذه المجالات وهو المجال الديني فإننا نقصد **بالخطاب الديني في هذه الدراسة:« مجموعة متماسكة من المبادئ والقيم ذات الصلة بالدين الإسلامي؛ عقيدة وشريعة، وبحيث تكون مرتبة وفق منطق ونظام خاص، والتي يتوجه بها المرسل إلى المستقبل، والتي تستند إلى مرجعية دينية وأهداف معينة، يتوخى المرسل تحقيقها لدى المستقبل** »، وهكذا يتسع مصطلح الخطاب الديني ليشمل المنشور في الكتب الدينية وكذا المجلات ووسائل الإعلام والمساجد والندوات الفكرية والملتقيات العلمية.

3-2 مفهوم المرجعية الدينية:

المرجع مصدر من الفعل رجع بمعنى محل الرجوع كما يعني: كتابا يُرجع إليه للاستفادة منه في دراسة مبحث من المباح[4] ويعني كذلك السلطة ومن يتكلم بسلطة ودراية بحيث يُعتمد على رأيه ومشورته وقراره، كما يفيد هذا المصطلح معنى السند الذي يُرجع إليه في الحصول على معلومات ثابتة وأكيدة[5] ، فإذا أطلق بهذا المفهوم فإنه ينبغي نسبته إلى فكرة معينة نحو قولنا: مرجعية تاريخية أو مرجعية دينية.

يؤدي مصطلح المرجعية الدينية مفهوم: السند الديني أو المصدر الذي يُرجع إليه عند معرفة حكم من الأحكام الشرعية بشرط أن يكون للمصدر أهلية تنزيل الحكم على الواقعة ـ محل البحث ـ وبحيث يكون هو نفسه مستندا إلى الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، مستعملا في ذلك الأدوات العلمية التي تعارف عليها العلماء المسلمون على مرّ العصور والتي اهتم ببيانها وكشف دقيقها علم أصول الفقه.

ونظرا لإمكانية تقسيم الإسلام إلى محاور ثلاث، تمثلت في العقيدة والفقه والأخلاق فإن حديثنا عن المرجعية الدينية في الجزائر يقودنا إلى تحديدها عبر هذه المحاور؛ وقد تمثلت في: العقيدة الأشعرية والمذهب المالكي في المجال الفقهي والتصوف في المجال الأخلاقي.

3 ـ 3 مفهوم تكنولوجيا الاتصال:

يشير مفهوم تكنولوجيا الاتصال إلى:" مجموع التقنيات أو الأدوات أو الوسائل أو النظم المختلفة التي يتم توظيفها لمعالجة المضمون الذي يراد توصيله من خلال عملية الاتصال بأنواعه وبحيث يتم جمع المعلومات والبيانات المسموعة أو المكتوبة أو المصورة أو المطبوعة أو الرقمية (وهي التي تتم عبر الحاسبات الإلكترونية)، ثم تخزينها واسترجاعها ونشرها وتبادلها"[6]؛ ويلاحظ من خلال التعريف أن المقصود من تكنولوجيا الاتصال التقنيات الحديثة التي تلاقت عندها مختلف الوسائل الحديثة وبحيث أنها سهلت عمليات تخزين المعلومات واستغلالها واسترجاعها عند الحاجة ويمكننا أن نقرر أن الشبكة العالمية للمعلومات إحدى الصور التي تجسدت من خلالها تكنولوجيا الاتصال؛ وفي هذه الدراسة نخصص هذا المصطلح بالقنوات الفضائية والأقراص المضغوطة والحاسبات الإلكترونية إضافة إلى الإنترنت.

رابعا المرجعية الدينية في الجزائر؛ الأهمية والمبررات:

يستمد الاحتكام إلى مرجعية دينية موحدة أهميته من طبيعة المتغيرات الدولية الراهنة التي يعرفها العالم والتي أنتجت ثورة المعلومات وسهولة الحصول عليها مخترقة بذلك الحقارات والحواجز، فأضحت البلدان عاجزة عن وقف الكم الهائل من المعلومات التي يمكن للفرد الحصول عليها بضغط زر جهاز التحكم عن بعد أو مداعبة لوحة مفاتيح الحاسوب، ويغدو هذا الفرد أمام كم هائل من المعلومات

التي تصب في مختلف فروع المعرفة الإنسانية، كما يجد نفسه أمام ما يشاء من معلومات دينية دون أن تكون لجميع الأفراد القدرة على التمييز بين الغث والسمين أو الصحيح من السقيم؛ هذا من جهة.

من جهة ثانية فإن الاستناد إلى مرجعية دينية موحدة من شأنه أن يجمع مسلمي البلد الواحد وفق منطلق ديني ورؤية فكرية واحدة؛ بل من شأن ذلك أن يوحد مجموعة من بلدان العالم الإسلامي في إطار إقليمي واحد في ظل ظروف اقتضت التكتلات والتجمعات الإقليمية والدولية على أكثر من صعيد، وقد كان للفقه المالكي - ولا يزال - في المغرب الإسلامي من الذيوع والانتشار ما جعله يشكل لبنة أساسية في البناء الثقافي والديني لمجتمعات المنطقة، وكان من فوائد ذلك تشجيع فقهاء المذهب على توسيعه وإثرائه من الداخل بالبحث والدراسة في أصوله والتفريع عليها، وإكثار التأليف فيه، وفي هذا من التوسعة على الناس والحفاظ على المذهب وإثرائه ما لايخفى[7]، ومن ذلك ما عرفه المذهب المالكي من اتساع وازدهار أيام الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط (الجزائر) بسبب أن سلاطين الدولة حرصوا على التودد إلى علماء المالكية وتقريبهم في مجالسهم، ثم إن رياسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب كله انتهت إلى إبراهيم بن يخلف الذي كان مدرسا بتلمسان وهو الذي ألف شرحا في عشرة أجزاء على كتاب "المبتدأ وتذكرة المنتهى" لأبي محمد عبد الوهاب المالكي في الفروع ولكنه ضاع فلم يصل منه إلينا شيء[8].

خامسا مواجهة الفوضى في مجال الإعلام الديني:

إن أهمية المرجعية الدينية ترجع إلى إمكانية اتخاذها أسلوبا يمكن الاعتماد عليه في مواجهة التحديات الإعلامية التي جلبتها ثورة الاتصالات الحديثة سواء على مستوى الصحف والقنوات الفضائية أو الشبكة العالمية.

فبالنظر إلى الوسائل المطبوعة الصادرة اليوم بالجزائر فإننا نلحظ كثرة الصحف ذات الطابع الديني(الإسلامي)، والتي استطاعت استقطاب قطاع واسع من القراء على الرغم من حداثة ظهورها؛ وقد وصل العدد إلى عشرة صحف إسلامية الطابع تمكنت من جذب القراء من مختلف الشرائح الاجتماعية، نسبة منهم ليست من الوسط المتدين مما حدا ببعض الصحف الصفراء (التي تعتمد على الأخبار المثيرة كالجرائم)، إلى التحول إلى صحف دينية (إسلامية) أو الاهتمام بالقضايا الدينية من أجل جذب المزيد من القراء[9]، مما يطرح تساؤلا جوهريا حول مدى أهلية القائمين على الصحف في كتابة ونشر المواضيع الدينية.

وبحسب بعض المتخصصين فإن الصحف الدينية (الإسلامية) بالجزائر ليست مدرسة واحدة، بل يوجد منها صنفان: أحدهما تتزعمه صحيفة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومن يحدو حدوها، وتتميز بأنها تقدم مادة دينية رصينة وفعالة وتقدم رسالة حضارية واجتماعية، وثانيهما صنف تمثله بعض الصحف التي تقدم المعلومة الدينية كالوجبة السريعة مبتعدة أحيانا عن

الضوابط الضرورية من حيث التدقيق في المعلومة، لذلك فإن محتوياتها لا تؤسس لثقافة إسلامية رصينة[10]، أما وسائل الإعلام المسموعة أو المسموعة المرئية فإن الإحصائيات تشير إلى وجود العديد من القنوات الفضائية الإسلامية، وبتوجهاتها المختلفة فضلا عن عشرات الإذاعات المتخصصة في تلاوة القرآن الكريم وتفسيره[11]، وهي الرسائل التي ساهمت في ربط المسلم بدينه و تعزيز حصانته الذاتية أمام المضامين الثقافية الوافدة التي تهدم القيم الأصيلة وتشوه النظام الأخلاقي العام غير أن القنوات الإسلامية لم تخلو من آثار سلبية، حيث بينت مجموعة من الدراسات العلمية الأكاديمية أن القنوات الفضائية الإسلامية تحظى بنسب مشاهدة عالية جدا، و أن الفئة العمرية* (15-20) سنة هي أكثر الفئات العمرية مشاهدة لها بنسبة 89.20 ٪، مقابل الفئة من 20 إلى 25 عاما بنسبة 10.8 ٪ وحول طبيعة القيم المبثوثة عبر هذه القنوات أشار أغلب المبحوثين إلى اتفاق مضمون الفضائيات مع قيم و عادات الدين الإسلامي بنسبة 86.8٪، في حين أجاب 13.20٪ من المبحوثين أن مضامين القنوات الإسلامية تتفق في بعض أبعادها مع عادات وتقاليد واردة من الغرب[12]، و هو ما نلحظه من خلال لباس بعض المذيعات ومقدمات البرامج والتي أحيانا ما تكون مرفوقة باسم المحل التجاري المروّج لها؛ مما يعطي انطباعا بالصبغة التجارية للرسالة الدينية المعروضة ويضفي على اللباس صفة الشرعية، ويعطيه الأحقية في الذيوع مادام القائم على الإعلام الديني مصدرا له.

وأما شبكة الإنترنت فإنها وإن كانت تحتوي مواقع إسلامية الغرض منها التعريف بالإسلام وبث نظرته إلى الوجود والإنسان، فإن هذه الجهود تبقى قاصرة بالنظر إلى المواقع الدينية الأخرى، فضلا عن حملات التشويه التي يتعرض لها الدين الإسلامي وحملات التمويه والتدليس أين نجد مواقع إسلامية الظاهر ولكنها تدار بأياد مسيحية؛ إذ تشير الإحصائيات إلى أن المواقع التنصيرية تزيد عن المواقع الإسلامية بنسبة 1200٪ ، وأن المنظمات المسيحية هي صاحبة اليد العليا في الإنترنت بتواجد مواقعها بنسبة 62٪ ، تليها المنظمات اليهودية أما المسلمون فيتساوون مع الهندوس في عدد المواقع والذي لا يزيد عن 9 ٪ من مواقع الشبكة[13].

إن المتصفح لشبكة الإنترنت وهو يبحث عن المعارف والمعلومات والفتاوى في مجال الثقافة الإسلامية أو عما يجيب عن فتواه قد يجد نفسه في مواقع رفعت شعار الإسلام ولكن القائمين عليها غير مسلمين؛ إذ تشير مجموعة من الإحصائيات إلى وجود 580 موقعا يديره مسيحيون ويقدمون الفتاوى على أساس أنها مواقع إسلامية[14].

سادسا الإفتاء بين الحاجات والضوابط :

يشغل منصب الإفتاء أهمية بالغة الخطورة، ذلك لأن المفتي في مقام المجتهد ولأن المسلم بحاجة إلى معرفة أحكام الإسلام فيما يستجد من أحداث، كما يعبّر الاستفتاء عن رغبة منهم في أن تكون أحوالهم الواقعية مطابقة للأحكام الشرعية، وكيف لا يكتسي الإفتاء أهمية بالغة والمفتي قائم

مقام النبي صلى اللّه عليه وسلم ونائبه في تبليغ الأحكام وتعليم الآنام[15]، بل لقد جعل ابن القيم الجوزية المفتي موقعا عن اللّه تعالى فقال: " إذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله ولا يجهل قدره... فكيف بمنصب التوقيع عن رب العالمين" [16].

لقد عاش إلى جوار المجتهدين جماعات من العلماء والقضاة والمفتين الذين انحصر دورهم في استظهار ما قاله السابقون عليهم أو تعليمه أو تنزيله في الواقع والاستدلال عليه، وهؤلاء هم المقلدة الذين كان لهم دورهم الذي لا غنى عنه في أي نظام تشريعي لاستمراره وتنفيذه ويمكننا أن نشبه دور هؤلاء بالوارث لقصر يتضمن العديد من الأشياء فهو يتصرف في هذه المحتويات بالتنظيم والترتيب والمبادلة أحيانا، والتزيين أحيانا أخرى[17]، وهو ما يمكن أن نسميه بناقل الفتوى ما يعني :

ـ أنه لابد من تعاون المجتهد وناقل الاجتهاد ولا غنى لأحدهما عن الآخر.

ـ كما أن التقليد[*]أسلوب لربط الأجيال بعضها ببعض، وتحقيق الاستمرارية للنظام التشريعي الواحد عبر العصور[18].

وإذا كنا نتحدث عن القائمين على الخطاب الديني (الإسلامي)، والذين يتولون مهمة تيسير قيم ومفاهيم الدين الإسلامي للمتلقين، فإنا نتحدث عن ذلك مع مراعاة الظروف الراهنة؛ والتي لها علاقة وثيقة بالعمل الدعوي بل يتأثر بها ويؤثر فيها أيما تأثير.

إذ تشير الإحصائيات إلى أن وزارة الشؤون الدينية بالجزائر تستقبل أسبوعيا ما لا يقل عن 2500 طلب فتوى من مختلف مؤسسات الدولة وعموم الشعب سواء عبر البريد أو الهاتف أو بصورة مباشرة[19]، مما يدل على الحاجة الملحة للفرد الجزائري على معرفة أحكام دينه فيما يطرأ من حوادث، ومع التطورات اللاحقة التي شهدها قطاع الإعلام والاتصال، أضحى الناس يبحثون عن إجابة لفتاويهم عبر شبكة الإنترنت أوالقنوات الفضائية دون تدقيق وأحيانا دون فهم لها مما يقتضي من القائم على الخطاب الديني أن يكون على اطلاع بما يُبث عبرها من فتاوى، وتنبيه الناس إلى ضرورة تخير المفتي بأن يكون أهلا للإفتاء أو أهلا لنقل الفتاوى عارفا بتفريعات المذهب الفقهي الذي ينقل مسائله الفقهية وكيفية التخريج عليها، كما يجدر بالسائل أن يراعي في المستفتى أن يكون من أهل البلد فإن لم يكن كذلك، أن يكون مطلعا على اختلاف الأمصار، وقد ذكر ابن القيم أن المجتهد إذا افتقد هذا الشرط فإنه يُفسد أكثر مما يُصلح، كما ذهب إلى أن معرفة الفقيه للناس ينبغي أن تتجاوز الأحوال والعوائد إلى معرفة مكر الناس وحيلهم وخدعهم، وأن من أفتى الناس بمجرد المنقول من الكتب على اختلاف أعْرافهم وأزمنتهم وأمكنتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم فقد ضل وأضل، وكانت جنايته في الدين أعظم ممن طبب الناس كلهم على اختلاف بلادهم وعوائدهم، وأزمنتهم وطبائعهم بما في كتاب من كتب الطب، وهذا الطبيب الجاهل أضر ما يكون على أديان الناس وأبدانهم[20]، وبهذا الصدد تذكر كتب الفقه فتوى ابن عباس في توبة القاتل فقد جاءه رجل سائلا: ألمن قتل مؤمنا متعمدا توبة؟

قال: لا إلى النار، فلما ذهب قال له جلساؤه: ما هكذا كنت تفتي؛ فما بال هذا اليوم؟ قال: إني أحسبه مغضبا يريد أن يقتل مؤمنا، فبعثوا في أثره فوجدوه كذلك.

لقد بلغت الفتاوى الواردة عبر شبكة الإنترنت والقنوات الفضائية حدا من الفوضى ما جعل بعض علماء الأزهر يقترحون جهازا رقابيا لمراقبة الفتاوى، وما جعل بعضهم الآخر يرفع شعار: "وضع ضوابط للفتوى عبر الفضائيات"، ومنها أن يبين المفتي لمن تعود الفتوى ولأي مذهب مع تحديد نوع الرخصة إن كانت محلا للإجابة، إضافة إلى مراعاة أدب الاختلاف بين العلماء ومراعاة أوضاع الأقليات المسلمة ببلاد الغرب[21] ، وأن يكون المفتي متحليا بالجانب الخلقي المتمثل في الإخلاص والتهيب الذي يعني استشعار خطورة الإقدام على هذا الأمر، وهذا هو شأن السلف من الصحابة والأئمة الأعلام ، ومن ذلك قول عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه: " أجرئكم على الفتوى أجرئكم على النار"، وكان الصحابة يحيلون على بعضهم حتى تعود المسألة إلى الأول، ولا يلبثون يستشير بعضهم بعضا، كفعل أبي بكر وعمر رضي اللّه عنهما إذ كانوا يجمعون كبار الصحابة لمدارسة مشكلات المسائل وأخذ رأيهم فيها[22].

سابعا تحليل النتائج:

إن كنا نقر ما للقنوات الفضائية ولشبكة الإنترنت من السلبيات فإنها لا تخلو من الإيجابيات التي يمكن استغلالها من طرف القائم على الخطاب الديني (الإسلامي) ، ذلك لأن الدعوة إلى اللّه مجال رحب يمكن أن تُستغل فيه مختلف الإمكانيات والطاقات، واللّه تعالى يقول:" (وَأَعِدّواْ لَهُمْ مّا اسْتَطَعْتُمْ مّن قُوّةٍ) [الأنفال آ: 60]، والقوة تكون في كل عصر بما يناسبه، وعدة المؤمن تكون في كل عصر بما يلائمه حتى تقوم الحجة للّه على عباده، ويتحقق الإبلاغ بتحريك دواعي الاقتناع والقبول لدى الناس[23]، ويمكننا أن نتحدث عن طرق الاستفادة من تكنولوجيا الاتصال الحديثة وطرق تلافي سلبياتها على الفرد الجزائري في النقاط الآتية:

1- يحسن بالقائم على الخطاب الديني (الإسلامي) الاطلاع على ما يُبث في الفضائيات والصحف من فتاوى بسبب كثرة تعرض الناس لها وسؤالهم عما يسمعون، وأحيانا ما يكون فهم الناس مشوشا أو اختيارهم للمفتي غير مناسب مع المرجعية الدينية القائمة، مما يتطلب تصحيح الصورة في أذهانهم، وذلك يقتضي بدوره معرفة ما يتعرضون له من فتاوى.

2 - الاهتمام بشريحة الأطفال ضمن الفئات التي ينبغي أن تستقطبها مؤسسات الخطاب الديني (على غرار المساجد)، نظرا لأنها من أكثر الفئات المستهدفة من طرف الوسائل السمعية البصرية بسبب قلة قدرة الطفل على القراءة وانجذابه للوسائل السمعية البصرية التي تعتمد على الصورة، بل لقد أثبتت مجموعة من الدراسات ارتفاع نسبة المشاهدة عند من يقرؤون ويكتبون، إذ تبين أن بعض التلاميذ في البلاد العربية قد أمضى أمام التلفزيون (15000) ساعة عندما ينهي دراسته الثانوية،

بينما لم يقض في حجرات الدراسة أكثر من (10800) ساعة على أقصى تقدير[24]، مما يتطلب جذب هذه الفئة عملا على تحصينها من الآثار السلبية للوسائل السمعية البصرية التي تبين أنها تحمل مضامين تزعزع القيم الدينية لاسيما منها في المجال العقائدي، وأنها تكرس أنماط الحياة الغربية في المأكل والملبس والسلوك، وتحمل أفكارا تهون من القيم الإسلامية و سلطة الوالدين كما تكرس الحديث عن السحر و الشعوذة[25].

3- تبيين ضوابط الأخذ عن سائر المذاهب وفوائد التمذهب بمذهب معين وهو ما يراه جماعة من العلماء إذ ذهب ابن الصلاح وإمام الحرمين وأبو حامد الغزالي إلى وجوب التزام العامي مذهبا معينا لا يتعداه، يقول إمام الحرمين: " أجمع المحققون على أن العوام ليس لهم أن يتبعوا مذاهب أعيان الصحابة، بل عليهم أن يتبعوا مذاهب الأئمة الذين سبروا ونظروا وبوّبوا الأبواب، وذكروا أوضاع المسائل"[26]، وأما الذين رأوا عدم وجوب التمذهب بمذهب معين، ومنهم ابن قيم الجوزية فقد اشترطوا ضوابط عند الأخذ بأقوال إمام من الأئمة، والتي تمثلت في عدم قصد تتبع رخص المذاهب، وتيسيراتها لمجرد أنها رخصا، والاستناد في التخير من المذاهب المختلفة إلى دليل شرعي معتبر[27].

4 - توعية المتلقي الجزائري بالبرامج المعروضة عبر الفضائيات والرسائل المطبوعة التي تروج للسحر والشعوذة والخرافة تحت غطاء الدين والرقية الشرعية، وتلك التي تقدم المعلومات غير الموثوق بها والتي لا يُعلم مصدرها، والدراما الدينية التي تحمل معلومات تاريخية مغلوطة أو يتم الاعتماد فيها على الروايات الضعيفة على غرار مسلسل صلاح الدين الأيوبي (من إنتاج مصري)، والذي كان بعيدا عن حقيقة الشخصية التاريخية المجسدة ومسلسل رابعة العدوية الذي أعطى صورة مشوهة عنها، ومسلسل خالد بن الوليد الذي وقع الاعتماد فيه على الرواية الضعيفة في مقتل مالك بن نويرة.

5- يحسن بالقائم على الخطاب الديني (الإسلامي) الاستفادة مما تحمله تكنولوجيا الاتصال الحديثة على غرار الأقراص المضغوطة التي تحتوي موسوعات الأحاديث الشريفة و موسوعة الأحاديث القدسية و موسوعة القرآن الكريم والتي تتشكل من أربع أجزاء حيث تم ترتيب المواضيع الواردة في القرآن الكريم بحسب أبوابها في العقيدة أو التاريخ أو القصص ...مع إعطاء نماذج من الآيات القرآنية التي تتضمن الموضوع - محل البحث - مما يشكل مؤشرا عند البحث في المواضيع الواردة في القرآن الكريم، غير أنه ينبغي اتخاذ ذلك كله بمثابة البوصلة التي تدل على اتجاه البحث، وموضع المعلومة لا أن تكون مصدرا لها، وهنا يتعين الرجوع إلى المصدر بتتبع الآيات من المصحف الشريف ثم بيان معانيها من مظانها في التفاسير، وكذا الأحاديث وشروحها في مصادرها، كما يحسن الاستفادة من برامج القنوات الفضائية، ففي دراسة حول اتجاهات النخبة الدينية نحو واقع ومستقبل الفضائيات الإسلامية تبين أن النخبة الدينية تتعرض بمعدل كثيف للفضائيات الإسلامية بلغت 88.4٪، وقد تمثلت

العينة في ستين فردا ما بين أساتذة بجامعة الأزهر ودعاة من مؤسسات رسمية وأهلية، وقد خلصت الدراسة إلى أن 51.7٪ من المبحوثين يتعرضون للفضائيات الإسلامية بدافع أنها تساعدهم في العمل أو الدراسة أو التعلم، وذكر 50 ٪ من المبحوثين أنهم يتعرضون إلى هذا النوع من الإعلام الديني المتخصص بدافع تدعيم آرائهم وأفكارهم التي يقدمونها عن القضايا العامة[28].

خاتمة:

لقد شهد العالم في العقود الأخيرة من القرن العشرين ثورة اتصالية حملت أبعادا إيجابية يحسن بالقائمين على الخطاب الديني (الإسلامي) استيعابها وحسن استغلالها، كما حملت أبعاد سلبية من شأنها أن تحدث بلبلة على المستوى المعرفي والقيمي للفرد مما يجدر الوعي بها والتنبيه إليها، ونذكر في هذا الصدد إصدار وزارة الخارجية الإسرائيلية مشروع إلكتروني لتفسير القرآن الكريم، قام بإعداده أكاديميون من عرب إسرائيل تحت إشراف الأستاذ الجامعي اليهودي " عوفر غروز يرد"، وهو المشروع الذي اعتبرته الوزارة المعنية همزة وصل بين العالم الإسلامي والغرب، وحذرت منه قيادات إسلامية معتبرة إياه جهودا؛ الهدف منها إيجاد جيل من المسلمين يفهم القرآن على النمط الغربي، وتم إصدار النسخة الأولى منه في هيئة كتاب مطبوع وتم اختياره كواحد من أفضل ستين تجديدا إسرائيليا قد يؤدي إلى تغيير المستقبل[29].

إن استغلال التكنولوجيا الحديثة يقود إلى تتبع ما يُبث عبرها من مضامين والاستر شاد بها في معرفة المواضيع التي تهم المخاطَب، واتخاذها كمؤشرات تدل على مواضع المعلومة دون أن يعني ذلك اتخاذها مصدرا للمعلومة إذ يتوجب الرجوع إلى المعلومات الدينية في مصادرها لا سيما منها أمهات الكتب المتخصصة، كما أن تلافي الآثار السلبية للتكنولوجيا الحديثة يقتضي التنبيه إلى أهمية الحيطة في أخذ الأحكام والعلم الشرعي عملا بالمقولة السائدة: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم"، إضافة إلى بيان أخطاء الانسياق وراء الرسائل الدينية المطبوعة غيرِ معلومة المصدر أو البرامج المعروضة لاسيما منها في المجال الدرامي، أو الانسياق خلف القنوات الفضائية التي تكرس الانغلاق الفكري وتتاجر باسم الدين عن طريق جعله وسيلة نحو جني المزيد من الأرباح، وتروج للخرافة والشعوذة، وهو الأمر الذي يجدر بالقائمين على الخطاب الديني (الإسلامي) الاضطلاع به نظرا لمكانته البالغة في النفوس، غيرا أن أمرا كهذا لا يقتصر على القائم بالخطاب الديني فحسب؛ بل يقتضي تظافر جهود أخرى وتكاثف سائر مؤسسات المجتمع لاسيما منها المدرسة وبرامج التعليم التي يتعين تضمينها الحديث عن المرجعية الدينية المتبعة في الجزائر، وتعزيز مواد التربية الإسلامية والعلوم الشرعية بها، وأمر كهذا من شأنه أن يساهم في تحصين التلاميذ من الآثار الضارة للعولمة الثقافية التي تعتمد على ترسانة قوية من وسائل الاتصال الحديثة.

ونظرا لأن الدراسات الميدانية توصلت إلى تفضيل الجمهور للبرامج التي يتحاور فيها مقدم البرنامج مع المستقبلين (talk show) فإنه يحسن الاهتمام بالبرامج الدينية التي تعتمد على الحوار، وفتح باب النقاش أمام رواد المساجد وعدم الاقتصار على التلقين أو الحديث المباشر، هذا الأخير الذي أثبتت الدراسات بشأنه عدم جدواه وأنه إحدى الأسباب المعتبرة التي تقف خلف انصراف المشاهدين عن البرامج الدينية المقدمة في القنوات الأرضية العامة والتي تعتمد على التلقين المباشر بنسبة 83 ٪ [30].

التوصيات:

- إعطاء الأولوية للمؤسسات المؤهلة لتقديم الخطاب الديني علميا ومنهجيا؛ على غرار جامعات ومعاهد العلوم الإسلامية والقائمين على الخطاب الديني (الإسلامي) من أئمة وأساتذة في العلوم الشرعية؛ عن طريق التعاقد بينها بين القائمين على الصحف وسائل الإعلام بأن يكون المجيب على الفتاوى والكاتب لمواضيع الدينية والمتحدث في البرنامج الديني من أهل التخصص.

- إصدار مجلات وصحف دينية (إسلامية) متخصصة؛ تتولى مهمة تبيان المسائل الفقهية والإجابة عن الفتاوى وعما يتصل بواقع الناس وحياتهم؛ بأسلوب مبسط ومفهوم مع الاقتصار على أرجح الأقوال؛ وفي هذا ما لا يخفى من توحيد للأمة عن طريق تجنيب الأفراد تفاصيل الاختلافات الفقهية التي من شأن العلم بها أن يقلل من هيبة الدين في النفوس.

- تنظيم دورات تكوينية للقائمين على الخطاب الديني(الإسلامي) من أجل الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة والوعي بآثارها السلبية وتوعية الناس بها.

- تزويد المساجد بحاسبات إلكترونية واشتراك بالشبكة العنكبوتية من أجل أن يكون القائمون على المسجد على اطلاع بالمستجدات الحديثة في أوانها.

- الاهتمام بالصفحات الدينية الواردة بالصحف والبرامج الدينية المعروضة عبر الوسائل السمعية والسمعية والبصرية عن طريق تحسين الخطاب الديني (الإسلامي) كما ونوعا.

الهوامش

[1] - عليان ربحي، مصطفى و محمد كينع، عثمان ، مناهج وأساليب البحث العلمي عمان، (2000)، دار صفاء للنشر والتوزيع، ، ص42.

[2] - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، (2005)، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ، ص:243.

[3] - محمد حسام الدين: العولمة وصورة الإسلام، (2002) المدينة برس، ص:99، 100.

[4] - جبران مسعود: الرائد معجم ألفبائي في اللغة والأعلام، (2003) دار العلم للملايين، ص: 806.

[5] - كميل إسكندر حشيمة وآخرون: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، (2000)، دار المشرق، بيروت،، ص: 535.

[6] – محي محمد مسعد: ظاهرة العولمة الأوهام والحقائق،(2004) دار المطبوعات الجامعية، مصر.

[7] – نذير حمادو: المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، (2008)، دار الفجر، قسنطينة، الجزائر، ص:69.

[8] – قريان، عبد الجليل(2007)،" *حول تاريخ المذهب المالكي في المغرب الأوسط*"، المحراب، ع 1، قسنطينة،، ص: 53.

[9] – عبد الرحمان أبو الرومي: الجزائر صحف صفراء سابقة...دينية حاليا؛ موقع إسلام أون لاين ص:1؛ تاريخ الدخول: 2021/05/27: http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?ArticleA_C&cid=1203757474734&pagename=Zone-ArabicNews/NWALayo

[10] – عبد الرحمان أبو الرمي، مرجع سابق ص:2.

[11] – مجدي محمد عبد الجواد: اتجاهات القنوات الفضائية الإسلامية في معالجة قضايا الأقليات والجاليات الإسلامية في العالم، (ديسمبر 2007)،بحث غير منشور مقدم إلى مؤتمر الفضائيات العربية بجامعة الشارقة، ص:5.

)*(- تم التوصل إلى هذه النتائج في دراسة ميدانية على عينة ذات فئة عمرية متراوحة بين 15 و 25 سنة، ونتائج الدراسة توحي بحداثة سن المشاهدين مما يجعلهم أقل قدرة على تمييز ما يجدر أخذه مما يجدر تركه في مجال الفتاوى.

[12] – مجدي عبد الجواد، المرجع السابق، ص ص: 57-58.

[13] – أحمد محمد أبو زيد؛ مجلة الجندي المسلم؛ تاريخ الدخول: 2008/4/21 .http://www.jmuslim.naseej.com

[14] - حوار مع صفوت حجازي، موقع جريدة النهار، تاريخ الدخول: 2008/06/04، ص: 1. http://www.ennaaronline.com/interview

[15] – باجو، مصطفى(2007)، *"الفتوى بين ضوابط الشرع والواقع"*، المعيار، ع1، نوفمبر، ص:107.

[16] – ابن القيوم الجوزية: إعلام الموقعين، تعليق أبو عبيدة مشهور بن الحسن، دار بن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1423هـ، مج2، ص ص:16-17.

[17] – سراج، محمد ،(1998)، أصول الفقه الإسلامي، دار الجامعة الجديدة للنشر، مصر،ص ص: 353 ، 354 .

)*(- المقصود من التقليد العمل بقول المجتهد دون بحث في دليله، وينحصر معناه في أخذ العامي بقول المجتهد دون بحث في الدليل لعجز العامي عن ذلك.

[18] – محمد سراج، مرجع سابق ص ص: 377 ، 378.

[19] – الحاجة إلى مفتي الجمهورية؛ موقع العربية، تاريخ الدخول: 2021/5/26: http:// www.alarabbia.net

[20] –ابن القيم الجوزية، مرجع سابق، مج4 ص:470.

[21] – حوار مع صفوت حجازي، موقع جريدة النهار، مرجع سابق، ص: 2 .

[22] – مصطفى باجو، المرجع السابق، ص ص:117-118.

[23] – عبد اللّه شحاتة: الدعوة الإسلامية والإعلام الديني، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1986، ص: 33.

[24] – ناصر العمر:" آثار أخرى للعولمة الثقافية"، موقع مجلة المسلم، تاريخ الدخول: 2021/04/25 http://www.almoslim.net/mode/8292

[25] – الكحلاوي، عبلة ، (2007)، " الخطاب الديني والطفل"، مجلة اتحاد الإذاعات العربية ، ع1، ص: (141-139)

[26] – محمد سراج: أصول الفقه الإسلامي، دار الجامعة الجديدة، مصر، 1998ص ص379-380.

[27] – المرجع نفسه ص 381.

[28] – رضا عبد الواجد أمين: اتجاهات النخبة الدينية نحو واقع ومستقبل الفضائيات الإسلامية ـدراسة ميدانية مقدمة إلى مؤتمر الفضائيات العربية، (11 ـ 13 ديسمبر 2007)، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ص ص: 15، 16، 34.

[29] – وزارة الأوقاف الفلسطينية استبعدت صحة التفاسير إطلاق مشروع إسرائيلي "لتفسير القرآن للعالم" عبر "قرآنت" ؛ تاريخ الدخول: 28 جويلية 2021: https://www.alarabiya.net/articles/2008٪2F06٪2F17٪2F51666

[30]() – رضا عبد الواجد أمين، مرجع سابق، ص: 31.